

## الى المنتدى الدائم للمشاركة والتضامن خطاب من أجل حضارة تضامنية وتشاركية

أوسفالدو ديلا جيوستينا  
راعي المنتدى

تذهب الأزمات التي تشغل وتقلق الإنسان، منذ بداية هذه الألفية، الى أبعد من كونها أزمة مالية صغيرة، أو من أي قطاع آخر، كما يبدو أو، بشكل عام، كما يتم فهمها. فهذه الأزمات، قبل كل شيء، هي نتيجة لإختلال الإيقاع والتوازن في العملية الحضارية، بين سرعة تطور التكنولوجيا وإستخداماتها، وبين بطء عمليات التغيير في الإنسان والمؤسسات. لهذا، يجب فهم الأزمات كمظاهر متنوعة لأزمة أكبر بكثير تبرز عدم إستقرار المرحلة الحضارية الحالية، باتجاه شكل جديد من التصدع، إذا لم يتم عكس هذا المسار.

مع العلم أنه لا يوجد تعارض بين التكنولوجيا ومنجزاتها وبين الإنسان بأبعاده المتعددة، حتى مع إعتبار التكنولوجيا بصيغها الأكثر تقدماً، مثل الهندسة الوراثية والكيمياء الدقيقة أو الفيزياء الكونية.

وعلى العكس، فإن التكنولوجيا يمكن أن تتحول الى أداة كبيرة لسمو الإنسان وأسننة المجتمع، إذا كان هناك وعي بأن ذلك ممكناً، في حال تركزت الجهود في مجال تحويل الممكن الى واقع.

ولكن، توجد المعارضة عندما تتقدم التكنولوجيا على حساب الإنسان والمجتمع، وإيقاعاتهم وقيمهم والبيئة الطبيعية التي تجري فيها الظواهر البشرية. ففي هذه الحالة، وحسب فقدان الإيقاع والتوازن الذي تسببه، سينتج، بالضرورة، بوجود الأزمات، التصدع المعلن والذي سيترتب عليه نتائج من الصعب تخيلها، لكن، بكل تأكيد، ليست أقل من فقدان التوازن والانحراف في هذه العملية.

ولعكس مسار التصدع، فإنه من الضروري الإدراك، بالتوازي، أن الخطر الذي يمكن أن يمثله هذا المسار وبطء تطور الإنسان ومؤسساته، سيؤدي لظهور ونمو كتلة عظيمة من الوعي في العالم، للدفاع عن الكائن البشري وقيمه الأساسية الحضارية.

وفي هذا السياق، تتشكل القيمة الأساسية لكتلة الوعي، وهي الكرامة الإنسانية، والتي يُفترض إحترامها، ودعم الحقوق الأساسية للإنسان ومنها، في المقام الأول، حق الحياة، وحق تكافؤ الفرص للحصول على الوسائل الأساسية لممارستها بأسمى معانيها. ويجب أن يتم توسيع عملية إعطاء الحياة قيمتها، كقيمة أساسية وجوهرية، لتشمل كل الكائنات البشرية، بغض النظر عن اللون أو العرق أو الثقافة أو المعتقد أو الطبقة الإجتماعية أو أي تصنيف آخر. وكنتيجة طبيعية، فإن تعدد الثقافات والأفكار والنظم السياسية والمعتقدات والعادات يشكل الافتراض لممارسة الكرامة الإنسانية والحريات الشخصية والتعايش السلمي والسلام والأمن بين الشعوب. فهذا هو الطريق، وليس هناك طريق آخر لحياة هذا الكوكب، ولأسننة كل الذين يعيشون عليه.

وهذه القيم، بالإضافة لقيم أخرى تتكامل معها، مثل العدل، والمساواة، ورفض الهيمنة وتدمير الطبيعة، والذين يتكاملون في الأبعاد الأخلاقية للمشاركة والتضامن.

من الضروري أن يتم بسرعة تبني قيم كتلة الوعي، بشكل فردي، من قبل الأشخاص، أو بشكل جماعي، من قبل المجتمع ليتم الانتقال من المرحلة الحضارية الحالية الغير مستدامة، والتي تستند على أسس تمت صياغتها في العصر ما قبل التكنولوجي، الى مرحلة حضارية جديدة تحافظ، في العصر ما بعد التكنولوجي، على الأبعاد الإنسانية وعلى إنتظام قيم هذه المرحلة.

ولا يشكل هذا المنظور واجب أخلاقي بسيط، بل هو يتعلق، كما قيل، بنفس حياة الكائن الإنساني وظروفه، ويجب فهم أن البعد التكنولوجي قادر على تدمير العالم، ليس فيزيائياً فقط، بل بأي بعد من الأبعاد التي تشكله. فقد تدهور فضاء الحياة، وتطبيق نماذج الماضي المستندة على الصراع والتنافس والتركييز بدون حدود. وهذا كله ثمرة الإستخدام الخاطيء للتكنولوجيا، لإستبعاد وتوسيع المناطق المهمشة، مولدة صيغة جديدة من الإستبعاد المعولم، ومعقدة، بشكل خطير، فقدان توازن العملية.

وفي النهاية، من الضروري الإتفاق، لكونهم قيماً أخلاقية، على أن المشاركة والتضامن لايشكلون فقط أحلاماً بعيدة المنال وصيغاً نظرية أو أهدافاً طوباوية، مالم تكون هذه الأحلام والصيغ والأهداف مفهومة كمنارات تضيء الطريق، وأماكن للإنتلاق والوصول.

ولهذا، يجب تحويل المشاركة والتضامن الى أدوات فعالة لإلهام الإنسان الجديد وبناء المؤسسات الجديدة، أو بمعنى آخر، المجتمع مابعد التكنولوجي، معيدة التوازن للعملية الحضارية، ومتجاوزة، بهذه الصيغة، الأزمات وخطر التصدع.

وأيضاً، يجب إدراك وتبني المشاركة، كقيمة أخلاقية، ممكن أن تجد أدواتها الفعالة في التغيير بعدم التركيز لكل أبعاد الأشخاص والتنظيم الإجتماعي. ويتضمن عدم التركيز تجاوز كل الأنظمة المركزة من الأكثر قوة في هذا العصر من العولمة الى الأكثر ضرراً، حيث يتم عبر التنافس الوحشي والإحتلال اللامحدود للفضاءات إنتاج الإستبعاد المشار إليه، والذي يزداد عدد الأشخاص فيه، بإضطراد، من المناطق والشعوب والقوميات. وهذه الديناميكية من التركيز والإستبعاد تجري في عملية متصاعدة وستصل، قريباً، الى نقطتها الحرجة من عدم التوازن، وبالنتيجة، الى التصدع الحتمي. وفي الواقع، تتشكل نظرية طبيعية بأن كل فاقد للتوازن، عندما يبلغ نقطته الحرجة يصبح غير قابل للديمومة. لماذا التخييل بأن هذه النظرية العالمية لاتطبق على المجتمع؟

وبنفس الصيغة، من الضروري الإدراك، وأيضاً، التبني بأن التضامن كقيمة أخلاقية يمكن أن يجد في التعاون الأداة الفعالة لتنظيم المجتمع بشكل مستدام، ويأسس العملية.

وهذا يعني القول بأن المشاركة التي لديها اللاتركيز كأداتها الفعالة، والتضامن الذي لديه التعاون كأداة فعالة، يشكلون القيم والأدوات لبناء المجتمع الجديد بالتناغم مع القيم الحقيقية لكثلة الوعي مع تقدم العلم والتكنولوجيا. وسيصبح المجتمع، حينئذ، محباً، ولنتذكر تيلارد لشاردن أو الليجيري لدانتي، في المعنى الشعري بأن (الحب الذي يحرك الشمس وكل النجوم). لماذا لا يحرك المجتمعات الإنسانية؟

من الممكن تكوين عالم أفضل

تتوجه هذه الدعوة لبناء عالم متشارك ومتضامن، بشكل خاص، الى الجامعات والمنظمات الإجتماعية والحكومات والقيادات السياسية والى كل قطاعات المجتمع من مبدعي وناشري الفن والإبداع والثقافة، وأيضاً الى الكنائس وجميع الأديان ليلتفتوا الى اللحظة والعملية، وليجروا تحليل عميق وفعال وهاديء حول الذي يجري في العالم، وشكوكه وأزماته المتعاقبة، وليصوغوا المقترحات العملية والمتدرجة لتجاوز أو عكس عملية التصدع التي تحوم حول الحضارة. وبهذه الطريقة، تصبح قيم كثلة الوعي حقيقة، حيث يصبح العالم أفضل وأكثر تضامناً وأكثر مشاركة، ولهذا يصبح أكثر إنسانية.

قسم المشاركة والتضامن في جامعة أونيسول  
طوباروا، سانتا كاتارينا، 18 مايو 2009